وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلثين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي
واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ٥

واتممناها بعشر

فتم ميقات ربه اربعين ليلة

مواستنا فالجملة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون وذلكم اشارة الى الانجاء او الى
العذاب والبلاء النعمة او المحنة وقرى تقتلون بالتخفيف روى ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو
بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون
سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك
فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان
خلوف فم الصايم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي
الحجة لذلك وقيل امره الله بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في
العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها ههنا ميقات ربه ما وقته له
من الوقت وضربه له واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه
وقرى بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح
من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا
له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون
من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام
كما خلقه مخطوطا في اللوح وروى ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه
اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين ارني انظر اليك ثاني مفعولي
ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك
اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل
لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية
لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس
بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة
وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم
وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلب الرؤية الا ليبكت
هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم
واعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد
ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم
من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما
كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما
اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه

ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال
سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ٥

191

اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان
غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته وكان ما يخاطب به او ما يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر
اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية
لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة
الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت
ما معنى لن قلت تأكيد النفي الذي يعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا
اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله
لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل
الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن
عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله
دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب
الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه
كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل
مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عظيم عجيب
ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة
الكاينة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى
ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول
كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرى دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة
من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي
قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرا يحيى بن وثاب دكا اي قطعا
دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما راى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق
واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على راسه ومعناه خر مغشيا عليه
غشية كالموت وروى ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون
يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا
يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك
بشيء من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك
المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر
الرؤية في هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان
ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول

اللكز الضرب بالرجل والوكز الضرب باليد

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)